خطبة جمعة

بعنون/

﴿النسخة المشوّهة﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١]

﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[النساء:٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب٧٠:٧١]، أما بعد:

فإن من المشاهد التي أصبحت مألوفةً أن تشاهد أسرة عربية مسلمة يتخاطبون فيما بينهم بلغة غيرهم، وهذا شاهدناه مرارًا، أسرة الأب عربي ومسلم، والأم عربية مسلمة، والأولاد عرب مسلمون، لكنهم يتحدثون فيما بينهم بلغة الأجانب.

وقد أعياني التفكير في سبب هذا الأمر، لماذا؟ ما الذي دفعهم لإلغاء أو استبعاد لغتهم التي هي لغة القرآن لغة الإسلام، ويستبدلونها بلغة الآخرين؟ حتى إن بعض الأولاد لا يتكلم اللغة العربية بشكل جيد، يتكلمها مُكسرة، ويجهل كثيرًا من مفرداتها.

هذا المشهد المتكرر مع الأسف الشديد في بعض أُسر المسلمين هو حلقة في سلسلة الانهزام أمام ثقافة الآخرين، هذا نوع من الانهزامية أمام ثقافة ولغة الآخر.

الإسلام لا يمنع من أن يتعلم الإنسان لغات أخرى أبدًا، كيف والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمر أسامة بن زيد أن يتعلم اللغة العبرانية، وأسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حبُّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعلم، ويعرف، ويتكلم باللغة العربية، والعبرانية، وبثلاث لغات أخرى في زمنه.

الإسلام لا يمنعنا أبدًا من تعلم لغة أخرى، لكن أن تكون هي لغتنا في المخاطبة بيننا وبين بعضنا؛ بحيث تُنسى لغتنا الأم فهذا لا أُسمِّيه إلا انهزامًا، وازدراءً لثقافتنا، ابنك عربي وأنت عربي فلماذا تتكلم بالإنجليزية؟!

◄ **سؤال**: لو كلَّمت أجنبيًّا بلغة أجنبية مفهوم؛ لأنه لا يفهم العربية، لكن هذا ابنك عربي، وأنت عربي، تتخاطبون بلغة الآخرين، لماذا؟! ما السبب؟! ما الداعي؟!

❑ **فأقول**: إن هذا حلقة في سلسلة التأثر والاندماج بالآخرين، وثق تمامًا أنك إذا فعلت ذلك فأنت أصبحت نسخة مشوهة، لا أنت حافظت على ثقافتك، ولغتك، ولا أنت أصبحت مثلهم، ولا هم يعترفون بك أنك صرت واحدًا منهم بمجرد أنك تكلمت بلغتهم في مجال ليس في مجالها.

وقس على ذلك مشاهد أخرى من اقتباس ثقافة الآخرين، في اللغة، في اللباس، في طريقة المعيشة، بل وصل الأمر حتى إلى معتقداتهم، وبعض الأمور التي هي من صميم عقيدتهم، ومن صميم دينهم، أصبحنا نرى بعض المسلمين مع -الأسف الشديد- يفعلها.

هل أنت ناقص ثقافة؟ هل أنت ناقص تاريخ؟ هل أنت ناقص مجد حتى تبحث عنه عند الآخرين؟ هل عند نقص في ثقافتك، وعاداتك، ودينك، ولغتك حتى تهجره ثم تبحث عن إكمال هذا النقص عند الآخرين؟!

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من تشبه بقوم فهو منهم»، من تشبه بقوم يحاول أن يصير مثلهم، ويفخر بأنه يحسن ثقافتهم فهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «فهو منهم» والعياذ بالله.

وأؤكد مرة أخرى أن الإنسان لا يمنعنا من اقتباس الخير من الغير أبدًا، إن كان عندهم شيء من التطور العلمي فحي هلا، بالعكس، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ فكرة جديدة، وأسلوبًا لم يكن معروفًا عند العرب أخذه من حضارة الفرس عن طريق سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك في غزوة الأحزاب، استراتيجية الخندق.

هذه الاستراتيجية العسكرية لم تكن معروفة عند العرب أبدًا، ما كانوا يعرفونها، خنادق ما يعرفون، فلما تحزَّب الأحزاب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتوه من الشمال والجنوب استشار عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أصحابه فأشار عليه سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذه الخطة، وهو أسلوب فارسي في الحرب، فلم يتردد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاستفادة منها، وفعلًا حفر الخندق، ونصره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في نهاية المطاف.

إذًا لا اشكال، بل بالعكس، ديننا يحثنا على أخذ كل مفيد ولو كان من الآخرين، ولو كان من إبليس نفسه، إبليس لما تشكَّل بشكل كائن، وقال لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا تدعن في كل ليلة أن تقرأ آية الكرسي، لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صدقك وهو كذوب».

نعم، لكن لا يعني ذلك بحال من الأحوال أن نكون نسخة مشوَّهةً منهم، أبدًا، لا يلزم من استفادتنا منهم أن نمسخ هويتنا، وثقافتنا، ولغتنا، أبدًا، فما بالك لو ما أخذ الشاب إلا السيِّء وترك المفيد؟!

بعض الشباب ما أخذ من الغرب إلا الوشم، قصة الشعر، والنطق وأغانيهم فقط، فما الفائدة من هذه الأمور؟ هل أخذت مخترعاتهم؟ هل اكتشفت مكتشفاتهم؟ هل صرت مثلهم في أسلوب العلم التجريبي مثلًا؟ بعض الشباب منهم إلا ما لا فائدة منه، الأوشام على الأجساد، قصة الشعر، الأغاني الغربية، ثم هو فاشل دراسيًّا مثلًا، ما صار مثلهم في ما هم مجيدون فيه، فلا هو صار مثلهم في إجادتهم، ولا هو بقي على ثقافته، وعاداته، ودينه.

ولذلك إخواني الكرام يجب علينا أن ننزل كل أمر في منزلته، كما كان يفعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي استفاد من فكرة غريبة عن العرب دون أن يستنكف هو نفسه الذي قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «من تشبه بقوم فهو منهم».

وأحاديث كثيرة جدًّا يحذرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها من التشبه بالكفار، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في الصحيحين: «خالفوا اليهود والنصارى، أعفوا اللحى، وحفُّوا الشوارب»، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه ارتدى يومًا ثوبين معصفرين، أي مصبوغين بالعصفر، وهذا كان من عاد الكفار، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إن هذا من لباس الكفار فانزعه»، «خالفوا اليهود والنصارى فإنهم لا يصبغون لحاهم، فاصبغوا لحاكم».

أحاديث كثيرة جدًّا أمرنا فيها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بخالفة اليهود والنصارى؛ حتى لا تذوب الشخصية المسلمة في ثقافة الآخرين، وحتى لا يأتي زمن تتداخل فيه الثقافات وتذوب شخصية المسلم في وسط هذا.

بالمقابل استفاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما عندهم، وأمر أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتعلم لغتهم، فلا تعارض بين الأمرين، والخلط بينهما يجب انكاره واستنكاره، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم ما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

«الخطبة الثانية»

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

مما تعدَّى فيه الأمر أيضًا موضوع التشبه إلى ما هو أخطر منه، هو أن يتشبه بهم في معتقداتهم، وفيما كفروا به بالله عَزَّوَجَلَّ، ومظاهر ذلك أصبحنا نراها -مع الأسف- عند بعض المسلمين، وفي بعض بلدان المسلمين.

ومن ذلك ما يُسمى بعيد الميلاد، أعياد الميلاد، أو الكريسماس، وما يلحق ذلك من مظاهر، وشخصيات، ورسوم، الكل يعلم المسلم والكافر: أن هذا العيد هم يعتقدون فيه بميلاد ابن للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هم يقولون ذلك، واعتقاد ابن لله عَزَّوَجَلَّ كفر، بل من أعظم الكفر، بل هو سب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[مريم٩٠:٩٢]، كل هذه المظاهر هي احتفال بكفرهم وزعمهم أن لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولدًا، فهذا دينهم، وهذا كفرهم الذي لا أجد جوابًا له.

مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولا يعتقد أن لله ولدًا، هو مؤمن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يضع هذه الرموز لماذا؟ هذا أمر غريب والله، هذا الرمز هل هو يعلم ماذا يدل عليه؟ هل يعلم ما دلالته ورموزه؟ هل يعلم أن هذا العيد هو احتفال بأعظم كفر، بأمر تنهد له الجبال، أم لا يعلم؟

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

***

ومع ذلك نرى في بعض أسواق المسلمين، وفي بعض بيوت المسلمين مظاهرًا لهذا الأمر! هل تقبل أن يُسبَّ أبوك وأمك في أسواق المسلمين؟ أو في وسائل التواصل؟ أو تُوضع صور ورموز تسيء لهما؟ ما أحد يقبل، فكيف تقبل على ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ؟!

رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكيف ترضى، وكيف تقبل أن يُسب الله عَزَّوَجَلَّ أو يُوضع رمز يدل على سب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في بلاد المسلمين، هذا أمر غريب جدًّا، في بلدانهم بكيفهم، لكن في بلاد المسلمين؟!!

ثم هذه الأعياد الخاصة بهم، هل هم احتفلوا بأعيادنا؟! هل رأيتم الغربيين في عيد الأضحى يضحون مثلًا؟! أو يضعون احتفالات بالأضحية؟ أو يحتفلون بعيد الفطر مثلًا؟! يضعون زينة في عيد الفطر، لماذا أنت يا مسلم تحتفل بعيدهم، وهم لا يحتفلون بعيدك؟!

ما هذا الانهزام؟! ما هذه التبعية البغيضة؟! لو لم يكن حرامًا تروح تقلدهم، وهم ما يقلدونك يا أخي، ولا يرونك شيء، ولا يرون عيدك شيئًا، هم يرونه يومًا عاديًّا، أنت تحتفل بعيدهم! غير أنه كفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ! هذا أمر غريب!

ثم إنه يوجد في بعض بلداننا، وفي أسواقنا، وفي بعض المحلات، هذا أمر يجب أن يُنكر، ويجب على الدولة أن تمنع كل مظاهر هذا الأمر؛لأنه سب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يجوز لنا أن نشارك فيه.

إذًا إخواني الكرام:

يجب علينا أن نضع النقاط على الحروف، ولا نخلط الأوراق، نعم، نحن مأمورون بأخذ كل مُفيدٍ من الآخرين فيما يتعلق بالتقنية، التقدم العلمي، كل ما هو مفيد، ولكن لا نأخذ ما يمس عقيدتنا، أو يُلغي ثقافتنا، لا يلزم هذا من هذا، والذي يعتقد أن هذا لازم لهذا فهو واهم، أبدًا، لكن الغريب أن بعض المسلمين لا يأخذ إلا ما يُناقض هويتنا ويترك المفيد.

نحن ندعو إلى الاستفادة من الآخرين فيما يحسنون، وفيما أفادوا به البشرية، ونحن نعترف لهم بذلك، لكننا لا نقبل أن نأخذ منهم ما يمس عقيدتنا، أو هويتنا، أو ديننا بشيء، ويجب على كل مسلم أن يتخذ هذا الموقف.

فإذا رأينا أمرًا يمس عقيدتنا لا نمر عليه كأنما حصل شيء، ما يسير؛ لذلك إذا رأينا أي محل يجب أن ندخل، ونقول: يا أخي اتق الله، هذا لا يجوز.

لو رأيت سبًّا لأبيك في محل تمر مرور الكرام، أم ستقيم الدنيا ولا تقعدها، طيب هذا سبٌّ لربك سبحانه، هذا ادعاء أن لله عَزَّوَجَلَّ ولدًا، وقد وُلد في هذا اليوم، ويحتفلون فيه، فلماذا الأمر كأنه لا يعنينا؟! هذا أمر -يا إخواني- يجب أن تتضافر الجهود في إلغائه، وفي إنكاره؛ لأن هذا الأمر يمس عقيدتنا، ويمس ديننا، ويمس هويتنا.

فنسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يعننا وإياكم على ما يحب ويرضى، وأن يعصمنا وإياكم من الزلل والخطل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، اللّٰهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

اللّٰهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته، ولا عيبًا إلا سترته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا حاجة من حوئج الدنيا والآخرة هي لك رضا، ولنا فيها صلاح إلا يسَّرتها، وأتممتها يا رب العالمين.

اللّٰهم فرج همَّ المهمومين، ونفِّس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللّٰهم آمنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ووفق للحق إمامنا، وولي أمرنا يا رب العالمين.

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠]، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت:٤٥].